

# الأدب في أسبوع

## التقليد

لم أكد أفرغ من قراءة ما تيسر لي أن أقرأه في هذا اليوم وما قبله حتى عاودني الفكر في أصول ما قرأت من كلام الكتاب والشعراء ، ووقفت أستعيد في نفسي تلك التيارات الكثيرة التي توج بنفوسهم من تحت اللفظ والعبارة والمعنى والنمط . ولقد ظننت — حين أقدمت على قبول كتابة هذا الباب من الرسالة — أن انبعاثي للكتابة وطول ممارستي لمادتها كفيلا أن ينهية النفس عن بعض ثورتها ، ولكنني أخطأت ، فإن أكثر ما حملت نفسي على قراءته يكاد يؤرث النار كلما خبت ، ويميدها جذعة كلما طفت ، ويدفني إلى مثل الحريق من الألم والحسرة والغضب للأدب العربي أن يكون إلى مثل هذا الضعف والقصور والقمع مصيره وعقباه . إن أصحاب هذا اللسان العربي والناطقين به قد أصابهم في عصور متتابعة مصائب الجهل والنفقة والضعف فتحطمت عروش الدولة في بلادهم كلها وعدا عليها كل عاد من ذؤبان الأمم فاستذلوموا وأخذروم وفتكوا بهم وقضضوا أوصلهم بالضعف والاستبداد تارة ، وبالرفق والسياسة التدرجية ، تارة أخرى . ثم جاءت أيام بشت من تحت الليل جرات تفرقت ثم اجتمعت ثم استطار شرارها فرى في كل هامة بعض الحياة ، وكذلك تارت أحلام الناعمين بتحاسينها وتجاريجها وفنونها فانقضوا بطلبون تحقيق أنوار ليالهم في سواد أيامهم ، ولكنهم قاموا وهبوا على غير نظام ولا تدير ولا نمبنة فانثرت القوى الجديدة وتمزقت ، فضمت وأخفت ، ولم يكن منها ما كان يرجى لها من النبله والظفر والسيادة ، وبقى الضعف في هذه الأمم العربية هو عمادها وعماد أعمالها في عصر من القوة الأوربية الطاغية يمتد ويتراحم وينساح في الأرض كلها متدافماً متدققاً لا يقف ولا يفتت ومن بلاء الأمم الضعيفة بنفسها أن انبعاثها إلى التقليد — تقليد القوى — أشد من انبعاثها لتجديد تاريخها بأسباب للقوة

التي تدفع في أعصابها عنفوان الحياة . والضعف يجعل محاكاة القوى أصلاً في كل أعماله . فلما فسدت قيادة أصحاب الرأي عند هذه الأمم الضعيفة ، وكان لا بد للمستيقظ من أن يعمل ، كان عمل الأفراد متفرقين منسجماً على أصليين : ضعف أورثهم إياه ضياع كيان الدولة السياسي ، وضعف كرتهم به تفرق للقيادة وشتات الأغراض ، فلا جرم أن يكون كل عمل موسوماً بسمة من ضعف مظاهر بضعف صاحبه ، ولا جرم أن يكون أعظم أعمالنا هو تقليد الناس على الهوى والجهل والدهشة المتصرفه بغير عقل

هذا كل شيء تحت أعيننا وبأيدينا : بيوتنا ، مدارسنا ، بناؤنا ، رجالنا ، نحاؤنا ، علمنا ، أدبنا ، فننا ، أخلاقنا ... كل ذلك على الجملة والتفصيل قد وسم بيسم الضعف والتفرق وانعدام التشاكل بين أجزائه التي يتكون من مجموعها معنى الأمة ، وكلها تقليد قد تفرقت في جمه أهواء أصحابها من هذا وهنا . والتقليد بطبيعته لا يتناول من الأشياء إلا ظاهرها ، فكل ما أخذنا من أجل ذلك ليست إلا مظهرأ

هذه المرأة — وهي فن الحياة الذي يشتهي أبدأ أن يدع حتى في الأذى — ما تكاد تراها عندنا إلا دُميمة ملققة من الحضارات ويدعها ... ثيابها ، زينتها ، حليها ، تطريتها ، شعرها ، تطريف بناؤها ، مشيتها ، منطقتها ... كل ذلك أجنبي عنها متكلف متزع من مظاهر غايات باريس وعابثات هوليوود ، ليس له من جنسها ولا أصلها شيء تزع إليه ، وأسمجه أنه ملفق لا يتشاكل تشاكل المصدر الذي اجتلب منه بالتقليد

وهذا الكاتب وهذا الشاعر — وهما فن الحياة الذي يعمل أبدأ في تجديد ممانها بالتأثير والبيان — لا يجد فيما يكتب أكثرهم إلا الممانى الميتة التي نقلت من مكانها بالاعتناق والقسر فوضت في جو غير جوها فاخترقت فئات ما كان حيا من بيانها في الأصل التي انترعت منه

وهكذا ... هكذا كل شيء تأخذ المعين أو يناله للفكر ، إنما هو دعوى ملفقة وتقليد مستجلب وبلاء من البلاء . ولا يزال مقلدين حتى يستطيع الأحرار — وهم قلة مشردة ضائعة — أن يسطروا سلطانهم على الحياة الاجتماعية كلها ، ويرد إلى الأحياء بعض القلق الروحي اللعيف الذي يدفع الحى إلى الاستقلال بنفسه والاعتداد بشخصيته ، والحرص على تجديد الموارث التي تلقاها

في مجهول غامض يحمل على الإبانة والإيضاح ، وإلا كان الكلام فيه على هذا تقصيراً لا ينفع ، ويكون أنفع منه أن يترجم لنا الأستاذ كلام النقاد الأوربيين الذين مارسوا هذا العمل وأفرغوا له أوقاتهم واستوعبوا الأصول التي يسار عليها في معالجته ، وكذلك تم خدمته للأدب والآداب ...

### أبو العباس السفاح

كنت أحب أن أستوعب في هذا التعليل كل الرأي الذي عرض لي في أمر أبي العباس السفاح أمير المؤمنين ، ولكني رأيت قد خرج عن أن يكون من مادة هذا الباب، فذلك اقتضت على أشياء أرجو أن تمين الأستاذ العبادي في تحقيقه الذي بدأه ، وعسى أن يكون في هذا القول بعض الصواب الذي يسي إليه . فمن ذلك أن أبا العباس السفاح ، وأبا جعفر المنصور أخوان وليا الخلافة العباسية لأول أمرها ؛ وكان أبو العباس أصغر من المنصور بمسرتين ، وأن اسم أبي العباس وأبي جعفر في نسبهما هو « عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس » ، فأبو العباس هو « عبد الله الأصغر » ، وأبو جعفر هو « عبد الله الأكبر » . فإذا كان ذلك كذلك ، وأبو جعفر قد لقب بالمنصور وأن الذي لقبه بذلك أبوه فيما نعلم ، فلا غرو أن يكون أبو العباس كذلك ملقباً ، وأن يكون أبوه قد لقبه كما لقب أخاه

وإذا كان أبو العباس « عبد الله » هو الأصغر فالتلقب هو أولى به للتفريق بينه وبين أخيه أبي جعفر « عبد الله » وهو الأكبر الذي ولد أولاً وسمى « عبد الله » من قبله . ويؤكد أمر هذا التلقب سيرورته بعد في خلفاء بني العباس جميعاً إلى انقضاء دولتهم ، فكانه كان من « تقاليدهم » وتمايمهم

وأيضاً فإنه قد ورد في الحديث عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يخرج منا رجل في انتطاع من الزمن وظهور من الفتن يقال له (السفاح) يكون عطاؤه للمال حشياً » ، وأئمة الحديث لا يصرفون هذا الاسم إلى أبي العباس ، وإنما هو نبوءة كبقية النبوءات التي وردت في القرآن الكريم والحديث النبوي لا يدري تأويلها إلا أن تكون ... ؛ ولكن الدعوة العباسية فيها يظهر قد جمعت بين هذا الحديث وأحاديث أخرى من باب النبوءات أيضاً وجعلت منها حديثاً اتخذته في الدعوة إلى إقامة الخلافة في بني العباس ، فكانوا يروون للناس عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : « والله

من تاريخه ، ويناصر في الحضارة الحديثة بروح المجدد لا بضمف المقلد ، فمتدئذ ينتزع من الحضارة الأسباب التي تنشأ بقوتها الحضارات ، ولا يكون موقفه منها موقف المسكين القليل الطرود من المائدة ... ينتظر وفي عينيه الجوع ليتفهم من فتاتها

### صورة النفس

عرضت في مقالة في مجلة الثقافة عدد (٥٤) عنوانها « الأدب صورة للنفس » كتبها الأستاذ « محمد مندور » ، وقد استوفيتي عنوانها قبل أن أقرأها ، لأن هذه هي الحقيقة التي تقولها ولا نصل فيها إلى حق . وقد تناوى النقاد عليها ومع ذلك فما نظفر من أقوالهم إلا بالسبهم بمد السبهم ، ولا نجد لأكثرهم شرحاً لها يني بدلولها أو بسرها أو يزيل الإبهام عن مسالكها ... يقول الأستاذ : « وأذن ، فالآثار الأدبية والفنية تطلعتنا بغير تحفظ على أسرار وأصمها النفسية بأسلوبها الخاص ... ونحن نقصد بذلك إلى البحث عن نفس الكاتب والشاعر في تضاعيف ما يكتب ... وعمل الناقد إذن عمل كشف عن أسرار لا تقع تحت البصر لأول نظرة ، وسيله إلى ذلك لا يمكن أن يكون إلا حساً باطنياً ترهفه للتجارب والمعرفة للطويلة بمختلف النفوس ... » ؛ وكل هذا جيد من القول ، وهو كالشرح على عنوان المقالة . ولكني رأيت الأستاذ ينظر في آثار أدبية لأستاذين جليلين هما : أحمد أمين وطه حسين ، وشرع يتكلم عن بعض آثارهما . تكلم عن مقال « في فيض الخاطر » هو (صديق) فإذا كل الذي قاله وصف يمكن أن يقع على كل كلام ، فيقول : « سترى كيف حطم الأستاذ هذا الصديق ، فرده إلى عوامله الأولية ؟ وقد تقاصرت جملة متجاوبة كأنها ذرات مادية نتجت عن هذا التحليل ... وللنتيجة والنتيجة أن الأستاذ أحمد أمين أو أسلوبه أسلوب تحليلي ، وفيه قوة خفيفة ، والأستاذ طموح متقلقل في شتى السبل ، لأنه كتب عن الشمس وعن الليل ، يستقرى ما يجوب في ظلام الليل ، وما تندقه الشمس ؛ ولا يصف جمالها أو وحشتها وهكذا ، ولا أدري كيف أستخرج شيئاً من كل الذي كتبه يدل على الذي أراده مما تقلناه آنفاً ؟ ولا كيف عمل هو في الوصول إلى هذه الأحكام التي دمع بها الآثار الأدبية وأصحابها ؟ ولا كيف كان عمله في التحليل النفسي الذي أحس به إحساساً باطنياً ! !

إنه لا بد لمن يتناول مثل هذا الموضوع أن يفصل القول ، فلا يجمله ، لأنه بلا شك موضوع جليل ، والكلام فيه سلوك

